القيم القرآنية والإسلامية ودورها في بناء جيل مبدع ومبتكر من الشباب:

دراسة حالة بيت الزكاة والصدقات في مصر

حسين عبد المطلب الأسرج

كاتب وباحث مصري

عضو هيئة تحرير مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية

إن بناء جيل مبتكر يتحلى بالإبداع والمسؤولية ليس مجرد طموح، بل ضرورة لتحقيق التنمية المستدامة والتعايش الإنساني. فالقيم القرآنية والإسلامية، مثل الإبداع، المسؤولية، العدل، التكافل، والأمانة، تقدم إطاراً متكاملاً لتمكين الشباب ليكونوا قادة التغيير.

ومن استلهام قصص الأنبياء والصحابة يمكن توجيههم نحو تحقيق التوازن بين الروحانيات والماديات، مما يعزز دورهم كقادة المستقبل وكمحرك أساس للتقدم الحضاري. فكيف يمكن لهذه القيم أن تُلهم جيلاً قادراً على مواجهة تحديات العصر بإبداع ومسؤولية؟ وكيف يمكن ترجمة هذه القيم إلى برامج عملية لتطوير قدرات الشباب؟ يستكشف هذا المقال كيف يمكن للقيم القرآنية والإسلامية أن تشكل أساسًا لبناء جيل مبتكر يساهم في بناء مجتمعات عادلة، مزدهرة، وحضارية.

أولا: تعريف الشباب: حسب التعاريف الإحصائية الشائعة في العالم العربي فإن الشباب هم الفئة العمرية التي تمتد عادةً من مرحلة المراهقة إلى بداية النضج، أي من سن ١٥ إلى ٢٩ سنة . بينما تستخدم الأمم المتحدة النطاق العمري ١٥–٢٤ سنة. ويُنظر إلى الشباب كفئة تتميز بالحيوية، الطاقة، والقدرة على الإبداع والتغيير. ويُشكل الشباب فى عالمنا العربى والاسلامى ما بين ٢٥–٣٠٪ من السكان بصفة عامة، وقد تزيد هذه النسبة فى بعض البلاد عن ذلك وقد تنقص قليلا فى البعض الآخر، مما يجعلهم قوة دافعة للتنمية الاجتماعية والاقتصادية في المجتمعات العربية والاسلامية.

ثانيا: دور الشباب تاريخيًا في الإسلام: أولى الإسلام الشباب أهمية كبيرة كونهم ركيزة الأمة وقوتها الدافعة. وحث النبي صلى الله عليه وآله وسلم على استغلال طاقة الشباب واستثمار هذه المرحلة في

العمل الصالح والإنجاز .فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: (**اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ**) (رواه الحاكم في المستدرك). ولقد كان الشباب منذ فجر الإسلام قوة دافعة للتغيير وبناء المجتمعات، حاملين راية الدعوة، ومبدعين في ميادين العلم والجهاد والاقتصاد. وقد استمدوا قوتهم من القيم الإسلامية التي تجمع بين الإيمان، العمل الجاد، والإبداع الأخلاقي. وبرز الشباب كركيزة أساسية في نشر الإسلام وبناء المجتمع. في مكة، كان معظم الصحابة الذين لبّوا نداء النبي صلى الله عليه وسلم شبابًا في مقتبل العمر، أظهروا شجاعة وإبداعًا استثنائيين:

١. علي بن أبي طالب: آمن بالإسلام وهو في العاشرة من عمره، وشارك في كل مراحل الدعوة، من الهجرة إلى المعارك، مُظهرًا شجاعة وذكاءً فذين.

٢. مصعب بن عمير: شاب من أغنى بيوت مكة، ترك الرفاهية ليصبح سفير النبي إلى المدينة، حيث علّم الناس القرآن وأرسى أسس المجتمع الإسلامي.

٣. أسامة بن زيد: عُيّنَ قائدًا لجيش المسلمين وهو في الثامنة عشرة، مما يعكس ثقة النبي صلى الله عليه وسلم في قدرات الشباب.

٤. الزبير بن العوام: كان في سن الشباب (حوالي ١٥ سنة) عندما أسلم، وشارك في المعارك والهجرات مبكرًا.

٥. عبد الله بن مسعود: شاب فقير أصبح من كبار قراء القرآن وحملة العلم.

وكان الشباب العمود الفقري في الهجرة إلى الحبشة والمدينة. على سبيل المثال، جعفر بن أبي طالب قاد وفد المسلمين إلى الحبشة وهو شاب، ودافع عن الإسلام أمام النجاشي. وفي المعارك (مثل بدر وأحد)، كان الشباب مثل حمزة بن عبد المطلب وطلحة بن عبيد الله في طليعة المقاتلين، وأظهروا شجاعة وتضحية. وبعد الهجرة إلى المدينة، ساهم الشباب في بناء المجتمع الجديد اقتصاديًا واجتماعيًا. وكان الشباب أيضًا حملة العلم، حيث حفظوا القرآن والسنة ونشروها، مثل معاذ بن جبل الذي أرسله النبي لتعليم أهل اليمن.

في مراحل لاحقة، برز شباب مثل محمد الفاتح الذي فتح القسطنطينية في سن ٢١ عامًا، محققًا نبوءة النبي صلى الله عليه وسلم، والإمام الشافعي الذي أسس مذهبًا فقهيًا وهو في العشرينيات من عمره. هذه الأمثلة تؤكد أن الشباب كانوا دائمًا في صدارة الإنجازات الإسلامية.

ثالثا :القيم الإسلامية الداعمة للإبداع: القيم القرآنية والإسلامية ليست مجرد تعاليم دينية، بل هي مبادئ عملية تهدف إلى بناء مجتمعات متماسكة ومبتكرة. هذه القيم تجمع بين الروحانية والعملية وتوفر اطارًا مثاليًا لتمكين الشباب وتحفزهم على الإبداع في حل المشكلات وتحمل المسؤولية تجاه مجتمعاتهم. فالقرآن يدعو إلى التأمل والتفكير الإبداعي: **أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ** (الغاشية: ١٧). هذه الدعوة تحث الشباب على استكشاف حلول جديدة للتحديات المعاصرة.

واستند دور الشباب تاريخيًا إلى قيم إسلامية راسخة يمكن أن تكون بمثابة دليل للشباب المعاصر:

- الإيمان والتقوى: كما في قوله تعالى: **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا** (الطلاق: ٢). الإيمان يمنح الشاب دافعًا داخليًا للإبداع والعمل بنية خالصة.
- طلب العلم: قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(طلبُ العلمِ فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ)** (رواه ابن ماجه). العلم هو أساس الابتكار، وهو ما مكّن شبابًا مثل ابن سينا وابن الهيثم من إبداعاتهم.
- الإحسان والإتقان: قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(إنَّ اللهَ يُحِبُّ إذا عَمِلَ أحدُكمْ عملاً أنْ يُتْقِنَه)** (رواه البيهقي). هذه القيمة تحفز الشباب على تقديم أعمال ذات جودة عالية.
- الصبر والمثابرة: كما في قوله تعالى: **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ** (البقرة: ٤٥). الصبر يساعد الشباب على تحمل التحديات والاستمرار في الابتكار.
- التعاون: قال تعالى: **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى** (المائدة: ٢). العمل الجماعي يعزز تبادل الأفكار ويؤدي إلى ابتكارات أكبر.

رابعا : كيف يكون هذا ملهمًا للشباب المعاصر؟

الأمثلة التاريخية والقيم الإسلامية يمكن أن تُلهم الشباب اليوم ليصبحوا فئة مبدعة ومبتكرة من خلال الخطوات التالية:

١ . ربط الإبداع بالهدف الأسمى : الشباب الذين يعملون بنية خدمة الأمة والإنسانية، كما فعل الصحابة، سيجدون دافعًا قويًا للابتكار . على سبيل المثال، تطوير تقنيات لحل مشكلات مثل الفقر أو التغير المناخي يمكن أن يكون امتداداً لقيم الإحسان والتكافل .

٢ . الاستثمار في العلم والتكنولوجيا : شباب الإسلام الأوائل كانوا يتعلمون ويبدعون في ظروفهم البسيطة . اليوم، يمكن للشباب استغلال التكنولوجيا الحديثة (مثل الذكاء الاصطناعي، البرمجة، أو الطاقة المتجددة) لتطوير حلول مبتكرة، مستلهمين من دعوة الإسلام للتفكر في الكون .

٣ . التغلب على التحديات بالصبر : قصص مثل أصحاب الكهف ومحمد الفاتح تُظهر أن التحديات لم تمنع الشباب من تحقيق أهدافهم . الشباب المعاصر يمكنهم مواجهة الفشل أو نقص الموارد بروح الصبر والمثابرة .

٤ . العمل الجماعي والمبادرة : كما تعاون الصحابة في بناء المدينة، يمكن للشباب اليوم تشكيل فرق عمل لإطلاق مشاريع ريادية أو اجتماعية . مثلاً، إنشاء تطبيقات تخدم التعليم الديني أو تنظم أعمال الخير .

٥ . الأخلاق كأساس للإبداع : الابتكار في الإسلام يجب أن يكون أخلاقيًا . على سبيل المثال، تجنب استغلال التكنولوجيا في أمور تضر المجتمع، والتركيز على ابتكارات تحقق العدل والرحمة .

خامسا :دراسة الحالة : بيت الزكاة والصدقات في مصر

يُعد بيت الزكاة والصدقات في مصر، الذي تأسس عام ٢٠١٤ تحت إشراف الأزهر الشريف، نموذجًا رائداً لتطبيق القيم القرآنية والإسلامية في بناء جيل مبتكر ومسؤول . يركز البيت على تمكين الشباب من خلال برامج تدريبية ومشاريع تنموية تعزز الإبداع والمسؤولية، مع التركيز على الفئات المهمشة في المناطق الريفية والعشوائية .

ويقدم البيت مجموعة من البرامج التي تعكس القيم القرآنية والإسلامية :

- التدريب المهني للإبداع : ينظم البيت برامج تدريب مهني للشباب، مع التركيز على المهارات التي تحفز الإبداع . ففي أسيوط، درّب البيت حوالي ٨٠٠ شاب وشابة بين عامي ٢٠٢١ و ٢٠٢٣ على مهن مثل النجارة، الخياطة، وصيانة الأجهزة الإلكترونية . على سبيل المثال، ساعد برنامج تدريبي في أسيوط شاباً على إنشاء ورشة لتصميم الأثاث الخشبي المستوحى من التراث المصري، مما جذب زبائن

من الأسواق المحلية والسياحية. كما درّب البيت شابات في سوهاج على تصميم ملابس مستوحاة من الفنون الإسلامية، مما عزز إبداعهن وساعدهن على تسويق منتجاتهن دوليًا.

- تمويل المشاريع الريادية: يدعم البيت مشاريع صغيرة ومتناهية الصغر للشباب، مع التركيز على الأفكار المبتكرة. في المنيا، قدم البيت تمويلاً لشاب لإنشاء مزرعة دواجن عضوية تستخدم تقنيات زراعية مستدامة، مما أنتج منتجات صحية وساهم في تحسين الأمن الغذائي المحلي بنسبة ١٥٪ في قريته. كما دعم مشروعًا في القاهرة لمجموعة من الشباب لإنشاء منصة إلكترونية لبيع المنتجات الحرفية، مما عزز إبداعهم الاقتصادي.
- التعليم التقني والابتكار: يخصص البيت أموال الزكاة لدعم التعليم التقني، مثل تعليم البرمجة والتسويق الرقمي. في الإسكندرية، دعم البيت برنامجًا لتعليم ٢٥٠ شابًا مهارات البرمجة، مما أدى إلى إنشاء ١٨ شركة ناشئة رقمية عام ٢٠٢٣، منها تطبيق لتوصيل المنتجات الزراعية مباشرة من المزارعين إلى المستهلكين، مما قلل من هدر الغذاء ودعم المزارعين المحليين.
- برامج التوعية بالمسؤولية: ينظم البيت ورش عمل لتوعية الشباب بأهمية المسؤولية الاجتماعية والبيئية. في سوهاج، أطلق البيت حملة "شباب من أجل الأرض"، شجعت الشباب على إنشاء مشاريع لإعادة تدوير النفايات البلاستيكية إلى منتجات مثل الأثاث والأدوات المنزلية، مما عزز الوعي البيئي والإبداع. في القاهرة، نظم البيت ورشة لتعليم الشباب إدارة الموارد بحكمة، مثل إعادة استثمار أرباح مشاريعهم في تطويرها بدلاً من الإنفاق غير المنتج.

تجسيد القيم القرآنية والإسلامية:

- الإبداع: يحفز البيت الشباب على تطوير أفكار مبتكرة، مثل تصميم منتجات مستوحاة من التراث أو استخدام التكنولوجيا في مشاريع ريادية، مما يعكس دعوة القرآن للتأمل والابتكار.
- المسؤولية: يعلم البيت الشباب تحمل المسؤولية تجاه مواردهم ومجتمعاتهم، مثل إدارة مشاريعهم بحكمة أو المساهمة في تحسين البيئة المحلية من خلال مشاريع إعادة التدوير.
- العدل: يضمن البيت توزيع الدعم على الشباب الأكثر احتياجًا، خاصة في المناطق الريفية، باستخدام معايير صارمة لتحديد المستفيدين، مما يعكس العدل في توفير الفرص.

- التكافل: يعزز التكافل من خلال تمكين الشباب من تحقيق الاكتفاء الذاتي، مما يقلل من اعتمادهم على المساعدات ويعزز دورهم في دعم مجتمعاتهم.
- الأمانة: يتميز البيت بالشفافية في إدارة أموال الزكاة، مع نشر تقارير دورية عن مشاريعه، ويشجع الشباب على تبني الأمانة في مشاريعهم الريادية من خلال الالتزام بالصدق والشفافية.

تجربة بيت الزكاة والصدقات تُظهر كيف يمكن للقيم القرآنية والإسلامية أن تُترجم إلى برامج عملية لبناء جيل مبتكر يتحلى بالمسؤولية، لكن نجاحها يعتمد على تعزيز الوعي المجتمعي وتطوير الآليات الإدارية لتصل إلى المزيد من الشباب.

الخاتمة

بناء جيل مبتكر مستلهم من القيم القرآنية والإسلامية هو مشروع حضاري يمكن أن يغير وجه المجتمعات. الإبداع، المسؤولية، العدل، التكافل، والأمانة ليست مجرد قيم دينية، بل هي أدوات عملية لتمكين الشباب من مواجهة تحديات العصر، من البطالة إلى التدهور البيئي. تجربة بيت الزكاة والصدقات في مصر تُظهر كيف يمكن لهذه القيم أن تُترجم إلى برامج تدريبية ومشاريع ريادية تغير حياة الآلاف من الشباب، مما يعزز دورهم في بناء مجتمعات عادلة ومستدامة. لكن التحدي يكمن في تعميم هذه الرؤية على نطاق أوسع، من خلال تعاون الأفراد، المؤسسات، والحكومات. ندعو الشباب إلى استلهام هذه القيم في حياتهم، سواء من خلال تطوير مشاريع مبتكرة، المساهمة في مبادرات مجتمعية، أو المطالبة بسياسات تعليمية وعملية عادلة. فلنجعل هذه القيم جسراً يربط بين الإبداع والمسؤولية، ونعمل معًا لبناء جيل يعكس الأمانة والعدل التي استودعنا إياها الله في هذه الأرض.